# أثر العوامل الاجتماعية في ترسيخ التَّطيُّر

# How Social Factors Reinforce Pessimism

الباحثة نور حسن هاشم الصيادي
Researcher: Noor Hassan Hashim Al-Sayyadi
مديرية تربية واسط
Wasit Education Directorate

ا.د. حسين سيد نور جلال الاعرجي
Prof. Dr. Hussain Sayed Nour Jalal Al-Araji
جامعة واسط- كلية التربية للعلوم الإنسانية
University of Wasit - College of Education for Humanities

Correspondence author: hnoor@uowasit.edu.iq

**الكلمات المفتاحية: التشاؤم - الطقوس الدينية ، الفكر العراقي القديم.**

**Keywords: Pessimism , Religious rituals, Ancient Iraqi thought.**

**الملخص:**

**تستكشف الدراسة تأثير العوامل الاجتماعية على ترسيخ التطيّر لدى العراقيين القدماء، مُصوِّرةً إياه ليس كسلوك فردي فحسب، بل كممارسة رمزية ودينية معرفية. ومن خلال قراءة نقدية للنصوص التاريخية والسياقات الثقافية، تكشف الدراسة أن التطيّر نشأ نتيجة تفاعلات معقدة بين الأفراد وبيئاتهم، وكذلك بين السلطة الدينية والمجتمع. إذ لعب الكهنة والمنجّمون دورًا محوريًا في تفسير الظواهر الطبيعية وربطها بفأل السوء، مما أدى إلى تحويل التطيّر إلى منظومة معرفية مؤسّسة أثرت في الحياة اليومية والقرارات المصيرية.**
**كما تتناول الدراسة العلاقة بين المرض والخطيئة، مبرزةً الربط بين المفاهيم الطبية والدينية، حيث كانت الأوبئة تُفسَّر على أنها عقوبات إلهية. وتسلط كذلك الضوء على التمايز الطبقي ودوره في تعزيز التشاؤم الجماعي من خلال الأساطير والممارسات العقابية، ما يُشير إلى أن دراسة التطيّر توفر رؤى قيّمة في البنية المعرفية للمجتمع العراقي القديم ضمن إطار حضاري معقد.**

**Abstract:**

**This study examines the social factors that contributed to the establishment of Pessimism among ancient Iraqis, presenting it as a symbolic and religious cognitive practice rather than solely an individual behavior. Through thorough analysis of historical records and cultural contexts, the research demonstrates that Pessimism resulted from intricate interactions among individuals, their environments, religious authorities, and society at large. Priests and astronomers significantly influenced the interpretation of natural events and their association with omens, effectively institutionalizing Pessimism as a recognised system of knowledge that impacted daily routines and important decisions. The study further investigates the connection between illness and sin, highlighting how medical and theological concepts converged, with epidemics frequently interpreted as manifestations of divine punishment. Additionally, the research addresses class stratification and its impact on reinforcing collective pessimism through mythologies and punitive customs, indicating that the examination of Pessimism provides meaningful insights into the cognitive framework of ancient Iraqi civilisation.**

**المقدمة**

**يُعدّ التطيّر من الظواهر الفكرية التي ارتبطت بعمق بالمجتمعات القديمة، خاصة في بلاد الرافدين، حيث كانت العلاقة بين الإنسان والطبيعة محكومة بالخوف من المجهول والرغبة في السيطرة عليه رمزياً. لم يكن التطيّر مجرد نتاج لاعتقاد ديني أو خوف فردي، بل تَشكل نتيجةً لتفاعل مركّب بين البيئة الاجتماعية والثقافية التي عاش فيها الفرد العراقي القديم، إذ ساهم الكهنة، والنُظم الدينية، والمخاوف الجماعية في ترسيخ هذا السلوك باعتباره أداة لتنظيم الحياة واتخاذ القرارات المصيرية.**

**تتمثل المشكلة في غياب تحليل اجتماعي معمّق لطبيعة التطيّر، يُفسّر كيف ولماذا أصبح جزءاً أساسياً من الفكر الجمعي العراقي القديم، ولماذا استُخدم كآلية نفسية للتأقلم مع الأخطار والتحديات اليومية، بعيداً عن اختزاله كخرافة أو انحراف معرفي.**

**يفترض الباحث أن العوامل الاجتماعية ممثلةً بالسلطة الدينية، البنية الأسرية، وأساليب التعليم غير النظامية لعبت دوراً محورياً في نقل وتعزيز ثقافة التطيّر، مما حوله من اعتقاد فردي إلى نظام اجتماعي مؤطر ينظّم السلوك الجماعي ويؤثر في القرارات السياسية والاقتصادية وحتى الشخصية.**

**ومن هنا، تنبع أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى دراسة أثر العوامل الاجتماعية في ترسيخ ظاهرة التطيّر في المجتمع العراقي القديم، من خلال تتبّع الأبعاد الرمزية والدينية والثقافية التي ارتبطت بهذه الظاهرة، وتحليل السياقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أسهمت في نشوئها وتعميق حضورها في الوعي الجمعي. كما يُسلّط الضوء على دور المرض، والمعتقدات المرتبطة به، باعتبارها مرآة لثقافة التشاؤم والانصياع لقوى الغيب.**

**أثر العوامل الاجتماعية في ترسيخ التَّطيُّر.**

**أدّت العوامل الاجتماعية أثراً محورياً في ترسيخ ظاهرة التطيّر لدى العراقيين القدماء، فلم تكن هذه الظاهرة مجرد انعكاس للخوف من الطبيعة أو نتيجة لتأثيرات مناخية فحسب، بل كانت أيضاً نتاجاً لتفاعل اجتماعي عميق بين الفرد والجماعة، وبين الإنسان والعالم الذي يعيش فيه.**

**ففي مجتمعات بلاد ما بين النهرين، التي كانت تعتمد في حياتها على الزراعة والتجارة وتوزيع المياه، كانت الأخطار الطبيعية كالفيضانات والعواصف والجفاف تهدد استقرار الحياة. ومع غياب المعرفة العلمية الحديثة لتفسير هذه الظواهر، اعتمد الناس على التفسيرات الرمزية والدينية، والتي تم تداولها وترسيخها داخل المجتمع عبر الأجيال.**

**كان الكهنة وعلماء الفلك في ذلك الوقت هم المرجع الأساس في قراءة علامات السماء والأرض، وكانوا يفسرون حركة الطيور، أو شكل السحب، أو سلوك الحيوانات، أو حتى سقوط شيء ما من غير المتوقع كإشارات تنذيرية. وهكذا، أصبح التطيّر جزءاً من الحياة اليومية والقرارات الحيوية؛ سواء في الزراعة، أو بدء الحملات العسكرية، أو بناء المدينة، أو حتى اختيار زوج أو موعد سفر. وعلاوة على ذلك، فإن الهيكل الاجتماعي القائم على السلطة**

الدينية ساعد في ترسيخ هذه المعتقدات، حيث كان الكهنة يستعملون التطيّر أداة للسيطرة على الجماهير وتنظيم سلوكياتها. فقد كانوا يربطون النجاح والفشل بال Signs (العلامات) التي تُقرأ في الطبيعة، مما جعل من التطيّر نظاماً اجتماعياً معترفاً به، يؤثر في القرارات العامة والخاصة على حد سواء.

وبذلك، لم يكن التطيّر مجرد خرافة أو اعتقاد فردي، بل كان آلية نفسية واجتماعية تساعد الإنسان على مواجهة المجهول، وتمنحه إحساساً بالتحكم في مصيره، ولو بشكل رمزي. وهو ما يجعل من دراسته ضرورة لفهم الفكر البشري في حضارته الأولى، خاصة في بيئة مثل العراق القديم، التي كانت تجمع بين القسوة الطبيعية والتعقيد الاجتماعي.

الأوبئة والأمراض في الفكر العراقي القديم:

كان يُنظر إلى المرض عند العراقيين القدماء على أنه عقاب إلهي ينزل بالبشر جزاءً لارتكابهم الذنوب والخطايا. ولم تكن هذه "الخطيئة" مقصورةً فقط على الأفعال الأخلاقية كالسرقة أو الكذب، بل شملت أيضاً خرق المحرمات الدينية، والتقصير في أداء الطقوس والشعائر التي كانت تُعدّ ضرورية لرضاء الآلهة. وقد انعكست هذه الفكرة بوضوح في قانون حمورابي، وكذلك في المعاهدات السياسية في الشرق الأدنى القديم، حيث كان يُشترط في بعض النصوص أن تُطلق الآلهة أنواعاً من الأمراض الخطيرة كعقوبة إذا ما تم تعديل الوثيقة أو تدميرها. وبذلك، لم يكن المرض مجرد حدث طبي عابر، بل كان أداة تنفيذية للعدل الإلهي.

يُعتقد أن الآلهة، عندما تغضب، تُعطي الإذن للأرواح الشريرة أو الشياطين بالسيطرة على الإنسان. وكان لكل جزء من الجسم شيطاناً خاصاً به يعتدي عليه ويسبب له الألم والمرض. كما كان يُنظر إلى السحرة والساحرات باعتبارهم وسطاء محتملين بين العالم البشري والعالم الجنّي، وقد يُلقي هؤلاء تعويذة سحرية تُصيب الشخص بالمرض أو البلاء.

وبالتالي، لم يكن المرض يُفسَّر على أنه اضطراب فسيولوجي فقط، بل كان يُعد علامة على العيب الأخلاقي أو الروحي، ويُوصف أحياناً بأنّه العلامة السوداء التي تُثبت نجاسة المريض، وتجعله غير صحي من الناحية الجسدية والروحية معاً.

مسببات الامراض:

1- فيزيائية:- الرياح – البرد – الحرارة – الجفاف – الاتربة.
2- فسلجية:- الاضطرابات العقلية – الاضطرابات العاطفية - التشوه الولادي – سوء الهضم – الحصاة في المثانة(لابات، 1968: 202).

اعتمد المشخصون للأمراض في العراق القديم على تقسيم جسم الانسان الى جزء ايمن وجزء ايسر الايسر يمثل حالة الشؤم لديهم وما زال هذا التمييز بين الجزء الايمن والجزء الايسر حيث تشير اليسار الى التشاؤم .(Contenau, 1938: 170-171)وقد ساد في بلاد الرافدين اعتقادهم بأن اسباب الامراض هم الالهة او الشياطين وقد ارتبط بالسحر والعرافة والتعظيم اذ كان السحر على نوعين:

1- النوع المؤذي وقد حرمته القوانين وهو يعمل به المشعوذون.
2- النوع غير مؤذي ويعمل به رجال الدين (الراوي، 1985: 320).

نظر الانسان العراقي القديم لكل ما حوله من الظواهر الطبيعية على انها شي مقدس الا الانسان لن يراه مقدسا لما يمارس من خطيئات ضد الالهة فأن نتيجة العصيان للآلهة هي اصابته بالأمراض والشرور وهذا الامر قد يتطلب القيام بالطقوس وتقديم الهدايا والنذور( شاهين، 2010: 85)، الآلهة التي خصها الإنسان العراقي القديم بالطب كان للإنسان العراقي

**القديم اعتقاد عميق بأن الأمراض والشفاء لا ينبعان من أسباب بدنية فقط، بل هما نتيجة تدخلات روحية وإلهية. ولذلك، ارتبط الطب في حضارته بعبادة آلهة معينة، كانت تُعد المسؤولة عن الصحة والعلاج، ويتم اللجوء إليها عبر الطقوس والصلوات. ومن أبرز هذه الآلهة:**

**الإله "أنكي" (أو "إيا"):**

**وهو إله الماء والحكمة والحياة، وكان يُعدّ من أهم الآلهة المرتبطين بالشفاء. فالماء كان يُنظر إليه على أنه مصدر الحياة والتطهير، وبالتالي فإن لأنكي أثراً مركزياً في العلاج الروحي والمادي. وقد كان يُدعى لمنح الشفاء وطرد الأرواح الشريرة من الجسد.**

**الإلهة "نانازو" (أو نانايا):**

**وتُعرف باسم "سيدة العارف بالماء"، وكانت تُعبد كآلهة للشفاء، خاصة في المناطق المقدسة التي تُستعمل فيها المياه في طقوس التطهير والعلاج. وكانت هناك معابد تُعرف باسم "بيت التطهير "، حيث يتم فيها تقديم الطقوس العلاجية باسمها.**

**الإلهة "كولا:"**

**وهي إلهة خاصة بالشفاء، تُعتقد أنها تمتلك القدرة على طرد الأرواح الشريرة التي كانت تُعد السبب الرئيس للأمراض. وكانت تُستدعى في التعاويذ والأدعية الطبية.**

**الإله "نينورتا" أو "ننكزيدا:"**

**وهو أحد الآلهة المرتبطة بالطب والعلاج، وكان يُرمز له بالحية الملتفة على العصا، وهي الرمز الذي ما يزال مستعملاً حتى اليوم كشعار للطب والصيدلة في كثير من المؤسسات الصحية حول العالم. وكان نينورتا يُعد حامياً للمزارعين والجنود، لكنه في نفس الوقت كان يُدعى لمساعدتهم في مقاومة الأمراض والشفاء الصحي (الراوي، 1985: 327).**

**عزا العراقيون اسباب المرض الى الارواح الشريرة والعفاريت المخفية التي سلطتها الالهة على البشرية على من اقترف ذنبا او تجاوز على قدسيتها او حرمتها.(Sigerist, 1967: 413)**

**وقد اطلقت اسماء على العفاريت مختلفة باختلاف اجزاء جسم الانسان آلو (Alu) التي تغطي الانسان والاتوككو (Utukku) الشريرة التي تهاجم الانسان في الخلاء والاطيممو(Etimmu) الشريرة وليبارتو (Libartu) و لاباسي (Labasi) التي تجلب المرض الى الجسد،**

**"وتهاجم جانب الرجل المتجول**
**فارضة على جسمه مرضا مهلكا**
**جالبة الى جسمه مرضا شريرا**
**جالبا الى جسمه وباءا شريرا**
**جالبة الى جسمه لعنة شريرة**
**لقد هاجم Ashakku رأس الانسان**
**لقد هاجم ناماتار Namntar بلعوم الانسان**
**لقد هاجم الاوتوككو الشرير رقبة الانسان**
**لقد هاجم الالو الشرير صدر الانسان**
**لقد هاجم الاطيممو الشرير معدة الانسان**
**لقد هاجم الكاللو الشرير يد الانسان**
**لقد هاجم الرب الشرير قدم الانسان**
**ان السبعة سوية قد مسكوا به**

لقد احرقوه مثل النار المشتعلة.( Jastow Jr, 1917: 232 )"
فإن للخطيئة في اعتقادهم أثر في الالام التي تؤدي الى غضب الالهة وبالتالي تقوم الالهة بتسلط العفاريت والشياطين على الانسان بما يؤدي ذلك العفريت الى اصابة الانسان وظهور اعراض المرض عليه وللحد من تلك الامراض وهي وجوب الطاعة لأوامر الالهة وتقدم القوانين والقيام بأعمال الطقوس الدينية.( Sigerist, 1967: 442)
"وضعوا في جسمه دما فاسداً انهم في جسمه المصير السيئ
انهم في جسمه السم الرديء انهم في جسمه اللعنة السيئة
انهم في جسمه الشر والخطيئة انهم عليه السم والعقاب
لقد وضعوا عليه الشؤم "(لابات، 2004: 195-196).
هناك انواع من العفاريت تكون السبب في الامراض الخبيثة والطاعون (النامرتو) وهي (الاوتوككو تعيش في المقابر والصحاري، وعفريت العالو وهي غير متميزة الجنس تسكن الخرائب والاماكن الخالية، والرابصو ترهب الناس في الليل، والاساكو تتغلل في اجسام الناس، وتهاجم الاخازو واللابارتو الاطفال في الغالب، اما الليلو فهو عفريت نصفه بشر والاخر شيطان وهم ذكور فقط لا اناث بينهم ولذلك يؤذون النساء، وعفريت الايطمو وهو المسبب لأمراض الحمى والرأس) (الأحمد، 2013: 72). فأن للبيئة سبباً مباشراً في انتشار الامراض وانتقال الاوبئة منها الى مياه الجداول والانهار التي كانت تعد المصدر الرئيس لمياه الشرب ( Sigerist, 1967: 403)، فكانت هناك مصافي خزفية للترشيح تغطى بالصوف او الشعر تستعمل لتعقيم المياه وهو عبارة عن وعاء مصنوع من مادة الطين غير مصقولة تنفذ فيه السوائل ويحتوي على المحلول الذي ينبغي تقطيرة بوضع الوعاء داخل وعاء اخر مصقول من اجل استبقاء السائل المرشح الذي ينضح عبر جدران الوعاء الداخلي(ليفي، 1980: 54). كان على المريض (ان يصطحب في فراشه طوال الليل عنزة صغيرة باكرة وفي اليوم التالي كانوا يحضرون حفرة مثل قبر يمددونه فيها بصحبة العنزة الصغيرة بعد ذلك يقومون بحركة ذبح عليهما مع الفرق انهم كانوا يستخدمون للرجل شفرة من الخشب لا تؤذيه بينما يستعملون للحيوان شفرة معدنية تقطع رقبتها واذ كانوا يعاملون جثة الحيوان معاملتهم لجثة بشرية يغسلونها ويعطرونها ويوشحونها بقطع من ثياب المريض نفسه وكان المشرف عليها يفتتح الحداد بتلاوة صلاة وهو يعلن وكان الامر يتعلق بالمريض المذكور لقد مات! وينظم ثلاث وجبات من الطعام الجنائزي (كيسبو) اكراما للارشكيكال التي كان ينبغي تهدئتها ولذكرى ارواح الموتى من اسرة المعني وكأن ميتا اخر اضيف اليهم ولا يبقى من بعد الا مواراة الجثة لحفظ الحداد عليها للوقت المناسب) وبعد هذه الممارسة فأنه لا خوف على المريض من شيئا بعد(بوتيرو، 1990: 187) ، فأن هذه الممارسة تقوم بتقديم بديلا للمريض لملكة عالم الاموات ارشكيكال.
"وفي هذا العالم الذي لا ينيره اي شعاع من نور، والذي يلفه الغبار لفا تاما، والذي ينعدم فيه الهواء وينقصه الطعام والشراب لا تجد ارواح الموتى ما تعيش عليه الا ما يقدم للموتى من نذور وقرابين ، فأذا لم يتذكرهم احد فأنهم سوف يردون الى الارض ليملأوها اوبئة ، وانذاك سيعيشون على ما يجدون من فضلات في المجاري"(كونتينو، 1986: 497-498)
اعتقدوا ان الالهة السفلى باستطاعتها محاسبة الاحياء بأن يجعلوا اعمارهم قصيرة وان يصيبوهم بالاوبئة(كونتينو، 1986: 498 )، فقد تأتي الامراض نتيجة انتهاك الانسان للمحرمات ومن هذه المحرمات تناوله اطعمة محرمة او افعال محرمة.

"في شهر تشرين.....
اليوم الاول ..... لا يأكل الرجل الثوم وإلا ولسعته العقرب ولا يأكل البصل الا واصيب بالإسهال .....
اليوم الثاني سوف لن يأكل الثوم والا مات شخص مهم في عائلته،.....
اليوم الخامس سوف لن يأكل لحم خنزير و الا كانت هناك دعوى ضده ، وسوف لن يأكل لحما مطبوخا و الا ضربه العفريت الرابيض ولا يأكل لحم البقر والا وضع عفريت الاتوكو اليد عليه ولا ينحني الى صديقه و الا ضربه الاله الصغير شولاك "(ساكز،1979: 356-357).
وانزل انليل الامراض والاوبئة ليقضي على الناس بعد ضجيجهم
"ولم تمض بعد الف ومئتا سنة
حتى توسعت البلاد وتكاثر الناس
واصبحت البلاد تخور مثل الثور
:وانزعج الاله انليل من ضجيجهم
اجل لقد سمع انليل صخبهم
فقال مخاطبا الالهة العظام:
لقد أصبح صخب البشر شديدا علي
ولقد حرمني ضجيجهم من النوم
فلنأمر بالوباء ينتشر بين الناس
وقرر انليل وهو يخاطب الالهة لانزال الامراض على الناس لتفتك بهم
"ليقضى الالهة نمشار (Namtar) على صخبهم
ولتفتك بهم كالاعصار: الامراض والاوجاع
والاوبئة والاسكو(asakku)
وتوافق الالهة طلب انليل
وامرؤ بذلك فكانت الاوبئة
وهكذا قضى الاله نمتار على صخبهم
وفتكت بهم كالاعصار: الامراض والاوجاع
والاوبئة والاسكو"(عبدالواحد، 1975: 56-57).
من الامراض التي اصيبوا بها هو مرض أطلق عليه (SAG. GI.DIB.BA) عرف بداء الشقيقة (Migrane)حيث شخصوه عندما يستمر الم الراس من شروق الشمس الى غروبها فأن نهايته مشؤومة،
"اذا كان صدغا الانسان يؤلمانه ساء الايمن او الايسر وعلى عينيه غشاوة"
"اذا كان صدغا الرجل يؤلمانه من المساء حتى الفجر ولسانه اصفر فأنه سيموت"
وكذلك اعتقدوا ان بعض الامراض تكون عفريت وضع يده على المريض
"اذا كان صدغا الرجل يؤلمانه وعضلة رقبته تؤلمه- يد عفريت"
"اذا كان صدغا الرجل يؤلمانه ومعدته تحدث اصواتا
في وسطها - يد عفريت او الربة عشتار"(الأحمد، 1974: 94-95)
هنا تظهر نهاية المريض وعدم شفائه وخطورة المرض وهي نهاية وتوقعات شؤم.
"عند بزوغ القمر في اليوم الاول من الشهر وكان الكوكب(sibziannai)
متلألئاً فأن الطاعون سيحل بالبلد"(البدري،2000: 39)

ومن الاوبئة والامراض التي اصيب بها العراقيون القدماء هو مرض الطاعون وفسروا ذلك على انه غضب الهي نتيجة خطايا الملوك او الناس بالتالي ان انتشار الاوبئة في المجتمع العراقي القديم قد يؤدي الى تقليل اعداد الناس وانتشار الخوف خوفاً من (عدوى المرض) فهذا نذير شؤم. وأدى ايضا الى ترك الناس مدنهم خوفا من انتشار الوباء ففي رسالة الى ملك ماري يقول فيها مرسلها "اعلموا الملك، الامراء والحكام بالضبط عن حالة البلاد الصحية والجيوش ففي حالة فقدان وسائل الوقاية الاساسية يكثر المرض"(الأحمد،1974: 94).

وقد اعتمدوا على الالوان في معرفة الامراض في تشخيص الامراض وأحيانا تكون نتائج المرض متوقعة نهاية مشؤومة (لابات، 1968: 203).

1 "-اذا كان انفه احمر يموت"

2"-إذا كان شخص يعاني من (داء الصفراء المتفحل) وإذا كان رأسه وكل جسمه ومؤخرة لسانه اسودا فأن الطبيب لن يقرب اليد منه، هذا الشخص سيموت، سوف لن يشفى"(لابات، 1968: 205).

3"-إذا كان هناك تورم في الصدغين ولا يسمع بكلتي اذنيه .....فأنه سيموت"

4"-إذا كان كلتا اذنيه تتحركان فأنه سيموت"

5"-إذا كان وجهه يعكس لونا اصفر وشفتاه مملؤتان بالقرح وترتجف عينه اليسرى فأنه سيموت(sags,1963: 462-463)"

6"-إذا كان المريض مريضا ولا يبقى في معدته طعاما او شرابا فأنه سيموت"

7"-إذا استمر المرض اربعة ايام وبقي المريض يضع يده على بطنه (من شدة الالم) وكان وجهه مصفرا فأنه سيموت"

8"-إذا كان المريض مريضا لمدة خمسة ايام وجلده اصفر وعيناه محمرتان فأنه سيموت"(الراوي، 1985: 332)

9"-إذا كان المريض مريضا لمدة خمسة الى عشرة ايام وليس عنده حمى او تعرق فأنه سوف يموت"

10-إذا كان المريض مريضا وجلده بارد فأن مرضه سوف يطول ولكنه سوف يموت (sags,1963: 463-464)"

11"-إذا استمر المرض اربعة ايام وبقي المريض يضع يده على بطنه (من شدة الالم) وكان وجهه مصفرا فأنه سيموت"(الراوي، 1985: 331)

وكذلك تشاءم العراقيون من اللون الاحمر في تشخيص الامراض فهو يشير الى تشخيص الامراض الخطيرة التي تؤدي الى الموت

12"-اذا كانت حنجرة المريض متورمة واذا كان وزن جسمه ضئيلا مع ظهور بقع حمراء فأنه سيموت""(لابات، 1968: 201).

اما اللون الاسود فأنه يشير الى تشخيص الامراض الصعبة في الطب الاشوري والتي تنهك جسم الانسان فأذا ظهر على انف المرأة الحامل فأنه يشير الى موت جنينها

13 -اذا كان طرف انف المرأة الحامل متورما من الناحية اليسرى واكثر اسودادا فأن الجنين الذي تحمله سوف يموت""(الراوي، 1985: 333)

14- "اذا حدث فيضان في شهر نيسان وتلون النهر كالدم فسيحل الطاعون في البلاد""(ساكز، 1979: 363).

15-فكان الساحر يرش على جسم المريض من ماء نهري دجلة والفرات مع قراءة خاصة لطرد العفاريت من جسد المريض"(الاحمد، 2013: 78).
وتشاءم العراقيون القدماء من الامراض بسبب اعتقادهم انها عقوبات الهية او بسبب افعالهم التي تؤدي الى غضب الالهة لهم وهذا جعلهم ذو معرفة بالطب فقد استخدم علاجات طبيعية فضلا عن التعاويذ والطقوس الدينية لأنهم مزجو الطب مع العفاريت والشياطين وان الامراض ناتجة من مؤثرات طبيعية.

الموت:

من المعروف ان الموت هو توقف معالم الحياة في الجسم الطبيعي من حركة ونمو وحس وتنفس وقدرة على التكاثر والتغذي وهو نهاية مرحلة تنفصل عندها ثنائية الوجود الانساني (الجسد والروح) ليعود كل عنصر منها الى عالمه الازلي فيشهد الجسد العنصر المنظور تحللا يبعث على الاكتئاب المقرف والمحزن والمخيف في وقت واحد والذي يوحي بأفكار قاتمة عن اشتراك الاحياء جميعا بهذه النهاية المحتومة ولتشهد الروح وجودا سلبيا كئيبا مظلما على الاغلب بحسب تصورات العراقيين القدماء.

1- فإن قلق الانسان العراقي القديم من الموت يأتي من احساس او غموض فأن الالهة التي لم تسعده في حياته يوما فهي لم تلتفت اليه بعد مماته بعين العطف وترعاه"(الخفاجي، 2014: 139).
اعتقد العراقيون أن العالم السفلي مظلم ومخيف فتشاءم من الموت على العكس من مصر الذين كانوا يؤمنون بالعالم السفلي(حنون، 2006: 243) . تظهر على الجسد عند الموت اثار مدمرة ، وهذه المشاهد لا تخرج عن عقلية الانسان العراقي القديم ، فهو يعيشها يوميا ويقوم بنقل صورتها المأساوية البشعة(جواد، 1999: 49)، ففي ملحمة كلكامش ينقل شبح انكيدو ويصف حاله لصديقه كلكامش:

"فخرج شبح انكيدو من العالم السفلي كنفخة هواء،
رأى أحدهما الاخر وتعانقا،
تناقشا حتى أرهقا،
كلمني يا صديقي، كلمني يا صديقي،
كلمني عن امر العالم السفلي الذي رأيته
لن اكلمك يا صديقي لن اكلمك
وإذا كلمتك عن امر العالم السفلي الذي رأيت فستجلس وتبكي
وسأجلس انا وابكي
جسدي الذي كنت تلمسه فيبتهج قلبك،
جسدي هذا مثل ثوب عتيق اكله القمل
انكيدو الذي كنت تلمسه فيبتهج قلبك
صار مثل صدع في الارض ممتلئ بالتراب
قال يا ويلاه ورمى بنفسه على الارض
قال كلكامش يا ويلاه ورمي بنفسه على الارض "(حنون، 2006: 243).
فأن موت انكيدو قد ادى الى تشاءم كلكامش بزوال الحياة وخوفه من الموت اذ كان يسعى للخلود ولا يكون مصيره كمصير انكيدو

**"افسأموت انا ايضا؟ الن افعل مثل انكيدو؟**
**ان الغصة انتابت قلبي**
**وخوفا من الموت أهيم تائها في البرية"(لابات، 2004، 285).**
**فقد وصفوا حالة الموتى على انهم يشبهون الطير ذو اجنحة ولكن رأسه على هيئة انسان (بوتيرو، 1990: 497). وصف العراقيون القدماء الحياة (وهي تقطع كالقصبة وان الذي يكون حيا في المساء قد يموت في الصباح) فأن الانسان مهما استمر في الحياة لم يستمر اكثر من الموعد الذي قدرته له الالهة فأن الموت حتما لكل الناس وحتى الملوك الذين حظوا بالتأليه والتقديس (الخفاجي، 2014: 88).**

**" حينما خلقت الالهة العظام البشر**
**قدرت الموت على البشرية**
**واستأثرت هي بالحياة"(باقر، 2002: 138).**

**ان العلاقة بين الانسان والموت شبهها العراقيون القدماء بين الروح والريح فإن الموت هو انقطاع النفس وتوقف الصدر عن الحركة وان مكمن الحياة في اعتقادهم هو الجهاز التنفسي والصدر، واطلق البابليون عن الحياة) نابشتو (Napistu وهي تدل على (النفس والبلعوم) اما السومريون فأطلقوا عليها (zi D) وهي تدل على الرياح او هبوب الرياح (جواد، 1999: 37).**
**فأن الروح اذا اهملت ولم تدفن او حفر قبره فأنها تخرج من العالم السفلي و تتحول الى قوى شريرة تهاجم البشرية على الأرض(الدباغ، 1992: 49)، ان فكرة الموت ارتبطت (بالكره) لدى العراقيين القدماء وارتبطت بنظرة سوداوية اي انه يكره حياة العالم الاسفل يكره كأبتها ويكره ان يسكن فيه ، و عموما أنّ العراقيين ركنوا ألى فكرة الموت مكرهين ، فالحياة مقترنة بالموت اذ لا توجد حياة بلا موت وهو امر حتمي على البشرية(الخفاجي، 2014: 137 )، تشاءم العراقيون القدماء من الموت وعد نوعاً من انواع العقوبات التي تعاقب بها البشرية نتيجة خطاياهم وكان القانون السومري يعاقب بالموت كل من يقوم بخطف فتاة بعد ان تلقى الرفض لتزويجها منه من قبل ابواها "امر الاله يجب ان يموت" وكذلك من يقوم بسرقة شيء ما في بلاد بابل كان يعاقب بالموت(شمار،1981: 158).**
**ومن الطبيعي ان يتشاءم العراقيون القدماء من الموت بسبب الفكرة السوداوية والبشعة التي رسمها في مخيلته عن الموت وان يصفه بصفات سلبية "فالموت قاس لا يرحم" على لسان اوتونابشتم ، اما انكيدو وصفه بانه مصيبة "نازلة" تنذر بالسوء(جواد، 1999: 53 ) ، ان الارواح تنزل بعد الموت في مكان الطبقة الاخيرة من الارض يحاط بسبعة اسوار ، اما السور الاول يحيط به نهر و الموتى لن يستطيعوا عبور هذا النهر الا بعد انجاز الطقوس الدينية ، ووصف هذا المكان بأنه عالم مخيف ويكون على هيئة مدينة والشياطين تقوم بحراستها وسمي هذا العالم (الارض التي لا رجعة منها) اما حاكم هذه المدينة الهة قاسية ملكة العالم الاسفل (ايرشيشكال) ويقوم بمساعدتها لتسجيل الموتى مجموعة من الالهة والشياطين(الدباغ، 1992: 49-50).**
**ان الانفس في العالم الاسفل لا يحسد عليها تعيسة ولا توجد اي فكرة عن الثواب في الجحيم فأن الذين يموتون موتا عنيفاً او الذين يموتون لا يلقون شعائر جنائزية فأنهم يصبحون شياطين منتقمين اما البقية فإنهم يعيشون عيشة ونية اما الذين سقطوا في المعارك لهم معاملة افضل فهم يسقون ماء قراحا ، وأنهم مهما كانت حياتهم التي يعيشونها فإن مصيرهم لا يحسد عليه (شمار، 1981: 233)، فأن كلكامش على الرغم من معرفته بسر الحياة الا انه**

كان يرتجف امام الموت ، فالموت بحد ذاته غير مرغوب به الا انه قدر على البشرية(الخفاجي، 2014: 377).

التمايز الطبقي-:

ان الاساس في التمايز الطبقي في المجتمع العراقي القديم هو امكانيات الفرد الاقتصادية ليس مجتمع طبقي اساسه انحدار الفرد الطبقي(باقر وآخرون، 1981: 74 ) ، تمثلت الصفة الاساسية للتركيب المجتمعي للعراق القديم في انعدام اي طبقة ذات مكانة غير اقتصادية باستثناء طبقة الملك(الخفاجي، 2014: 57). ومنذ بدايات عصر فجر السلالات (2900-2400 ق.م) فإن المدن نمت واتسعت من حيث مساحتها و زيادة اعداد السكان واصبحت عواصم للدول التي قامت في تلك المنطقة عرفت (دول المدن السومرية) فأنه من الطبيعي ان يرافق هذه التطورات نضوج نظم اجتماعي في الحياة فقد ادى الى تعقيد الحياة اما مصالح الفئات والطبقات الاجتماعية تضاربت فوضعت القوانين لتنظيم الحياة الاجتماعية(سليمان، 1993: 145).

ينقسم المجتمع العراقي القديم الى طبقتين اساسيتين هما:

1-طبقة الاحرار

2-طبقة العبيد

وتنقسم ايضا طبقة الاحرار الى طبقتين هما:

1-الطبقة العليا (الاويلم)

2-الطبقة الوسطى(مشكينم)

فأن الطبقة العليا تمثل الحكام والملوك والقادة اما الوسطى فتتألف من جميع المواطنين والذين اعتمدوا على المعبد او القصر او الطبقة العليا في حياتهم(باقر وآخرون، 1981: 75).

فهذه تكوينات اجتماعية ظهرت ملامحها في نهاية العصر البابلي الوسيط، فالاويلم تعني الرجل او السيد اما مشكنيوم فهي المسكين او الفقير او المولى او المستقر، وقد ظهر مصطلح مشكين في قانون اشنونا في خمس مواد من عدد (60) مادة(الخفاجي، 2014: 57). ظهر التشاؤم من طبقة العبيد بحيث كان من الجائز ان يستعبد الاحرار، قد تكون عقوبة بسبب مخالفات تفرض عليهم او بسبب الفقر، كان الوالدان يبيعان اطفالهما كعبيد، او البعض يقوم بتسليم جميع افراد عائلته من اجل تسديد دينا عليه، وذلك على وفق فترة زمنية محددة لا تزيد عن ثلاث سنوات، كان العبد يعامل مثله كمثل المال المنقول من قِبل سيده(كريمر، 1973: 105).

عندما بلغ الناس حداً من المجاعة فإنهم نسوا عواطفهم وعلاقتهم الانسانية بسبب الجوع فقد شهد بيع لامهاتهم والامهات يقمنَ ببيع بناتهم وابنائهم للحصول على المال لأجل شراء به مواد غذائية،

"كانت الابنة تراقب ميزان الام(عند بيعها)
وكانت الام تراقب ميزان الابنة (عند بيعها)
وعندما حلت السنة السادسة
اتخذوا من الابنة عشاء لهم
واتخذوا من الابن غداء لهم

.....لم يشبعوا.....
فالتهم كل جار جاره
وغطت وجوههم غشاوة كالنبت المصفر
وكان الناس احياء ولكن على حافة الموت"(عبدالواحد، 1975: 63-64).

ان الزيادة في اعداد العبيد تفسرها سوء الحالة الاقتصادية للبلد وخاصة في عهد ايسن ولارسا وصاعداً و لاسيما اعقاب سقوط سلالة اور الثالثة ساءت اوضاع البلاد اقتصادياً بفعل الاضطراب السياسي وتكررت الازمات الاقتصادية والاعتماد على الفلاحين الصغار وشيوع الملكية الفردية على نتاج الاراضي الزراعية المستأجرة او المملوكة و ادى ذلك الى خطورة تعرضهم لنقص الانتاج بعد اعتمادهم على المعبد مقابل خدماتهم للمعبد ، ولكن بعد تعرض الاراضي الزراعية الى خطر الفيضانات وقلة المياه وشحة الامطار اصبحوا في ايدي دائنيهم لقمة سائغة مما اضطروا الى بيع زوجاتهم واطفالهم تسديدا للدين او للتخلص من نفقات معيشتهم(سليمان، 1993: 47-48) ، ان المجتمع العراقي القديم اعترف في مراحله الاولى من تقسيم ثلاثي بين افراده فقد وجدت طبقة تستحق ان تكون اقل من الاخرى واكثر من الاخرى بين الرجل الحر والعبد(كونتينو، 1986: 32 )، و إن التمايز الطبقي في المجتمع العراقي القديم تميز بالإكراه والقسر وحكمه الشكل المعمم للعبودية في علاقاته الطبقية بين الدولة والمشترك(الطعان، 1981: 155).

فإنّ الشعور بالتمايز الطبقي كان يكمن من خلال النظرة التي كان ينظرون بها الى الفقر والفقراء (الطعان، 1981: 191)، واكدت ذلك ان الامثال السومرية التي فسرت تلك النظرة التي تهزأ الفقير لضعفه وتعاسته:

"إذا مامات رجل فقير لا تحاول اعادته الى الحياة،
فهو إذا امتلك الخبز عدم الملح، وإذا امتلك الملح عدم الخبز فاذا كان لديه اللحم،
لم يكن لديه البهار وإذا كان لديه البهار عدم اللحم. الثراء صعب المنال،
ولكن الفقر معنا على الدوام"
"ليس للفقير سلطة"
"ما احط الرجل الفقير، حافة التنور مطحنته"
"رداؤه، الممزق يبقى بلا رتق، وما يفقده لا يفتش عنه أحد"(كريمر، 1973: 379-380).

اما طبقة الاحرار فأنهم يخضعون (للعبودية المعممة) بما يلتزمون به من دفع الجزية، والخضوع لنظام السخرة(الطعان، 1981: 190 ). مع وجود الملكية الجماعية هناك تمايز طبقي فكان للملك وعائلته وكذلك الكهنة فأنهم ذو طبقة متميزة مقارنة مع الافراد الاخرين التي تحتضنهم عادة (المشتركات) (الطعان، 1981: 153 )، وجدوا اهل "لجش" خلال الحروب انهم قد سلبت حريتهم الاقتصادية والسياسية فإن الحرب تحتاج الى جيوش ومؤن وسلاح فلا بد للحكام ان يتوجهوا الى المواطن باستغلاله واستحواذه والسيطرة عليه عن طريق فرض الضرائب على ممتلكاته وثروته واستغلال اموال المعابد ومع ذلك وبسبب الحروب فأن الحكام لم يتلقوا الا القليل من المعارضة (كريمر، 1965: 109).

كان العبيد يتمايزون بعلامات مميزة منذ العهد البابلي القديم قص الشعر والوشم او يحرق بالنار علامة على وجه او ظهر اليد او يكتب على جبينه وشم عبارة (رقيق ابق، اقبض عليه) وذلك لتقيده من محاولاته للهرب (ساكز، 1979: 196). او كان يكتب اسم مالكه على

منطقة الرسغ بواسطة الوشم واذا بيع الى شخص اخر ايضا يكتب اسم المالك على الرسغ الثاني وهكذا يستمر (سليمان، 1993: 53).

الاستنتاجات:

1.لم يكن التطيّر في العراق القديم مجرد اعتقاد عشوائي، بل كان جزءاً من منظومة ثقافية تتشكل من الدين، والسياسة، والمجتمع، ويُستخدم لفهم الواقع والتحكم بالمصير في ظل عالم غامض ومتقلب.

2.الطبقات الحاكمة والكهنة لعبت دوراً محورياً في نشر ثقافة التطيّر، حيث استخدموا الرموز والتفسيرات الماورائية لتشكيل وعي جماعي يتبنى نظرة تشاؤمية نحو الأحداث والظواهر الطبيعية.

3.الأمراض والموت لم تُفسر بوصفها أحداثاً طبيعية، بل كُوّنت حولها رموز عقابية تشير إلى غضب الآلهة، مما رسّخ العلاقة بين العقيدة والخرافة في فهم نهاية الحياة.

المصادر والمراجع.

أولا: الكتب العربية والمعربة:

1.تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ط1، بغداد-1992.

2.جان بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة- العقل- الالهة ، تر: الاب البيرابونا ، مراجعة: وليد الجادر،ط1، بغداد- 1990.

3.جورج بوبيه شمار، المسؤولية الجزائية في الاداب الاشورية والبابلية، تر: سليم الصويص، 1981.

4.جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، ط2، بغداد-1986.

5.حسن فاضل جواد، الاخلاق في الفكر العراقي القديم، بغداد-1999.

6.رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، بغداد-2004.

7.سامي سعيد الاحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بيروت-2013.

8.شاكر شاهين، العقل في المجتمع العراقي (بين الأسطورة والتاريخ)، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2010.

9.صموئيل نوح كريمر، من الواح سومر، تر: طه باقر، تقديم: احمد فخري، فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1965.

10.صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، تر: فيصل الوائلي، الكويت-1973.

11.طه باقر واخرون، تاريخ العراق القديم ، ج2، 1981.

12.طه باقر، ملحمة كلكامش، ط6، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002.

13.عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج2، جامعة الموصل، 1993.

14.عبدالرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد للنشر، بيروت، 1981.

15.عبداللطيف البدري، الطب في العراق القديم، بغداد-2000.

16.اروق ناصر الراوي، العلوم والمعارف، حضارة العراق، ج2، بغداد-1985.

17.فاضل عبدالواحد، الطوفان في المراجع السماوية، مطبعة أوفسيت الإخلاص، بغداد، 1975.
18.مارتن ليفي، الكيمياء والتكنلوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، ترجمة وتعليق وتقديم: محمود فياض المياحي واخرون، بغداد-1980.
19.مزهر الخفاجي، خصائص الشخصية العراقية والشخصية المصرية في التاريخ القديم، ط1، بغداد 2014.
20.نائل حنون، ملحمة كلكامش، ط1، دمشق-2006.
21.هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، ط2، 1979.
ثانيا: الأبحاث الاكاديمية باللغة العربية:
22.رينيه لابات، الطب البابلي والاشوري، تر: وليد الجادر، مجلة سومر، مجلد 24، بغداد، 1968.
23.سامي سعيد الاحمد، الطب العراقي القديم، جامعة بغداد، مجلة سومر، مجلد30، 1974.
ثالثاً: الكتب الأجنبية:
24. George Contenau, Lamedicine en Assyrieet Babylonie,Paris-1938
25. H.W.F sags, The Greatness that Babylon, New york-1963.
26. Henry E.Sigerist, A History of Medicine Primitive and Archaic medicin, newyork-1967.
رابعاً: الأبحاث باللغة الإنجليزية:
27. Morris Jastow Jr, Babylonian Assyrian Medicine, Annales of medical History,No.3, 1917.

المصادر والمراجع.

أولا: الكتب العربية والمعربة:
1.تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، ط1، بغداد-1992.
2.جان بوتيرو، بلاد الرافدين الكتابة- العقل- الالهة ، تر: الاب البيرابونا ، مراجعة: وليد الجادر،ط1، بغداد- 1990.
3.جورج بوبيه شمار، المسؤولية الجزائية في الاداب الاشورية والبابلية، تر: سليم الصويص، 1981.
4.جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، ط2، بغداد-1986.
5.حسن فاضل جواد، الاخلاق في الفكر العراقي القديم، بغداد-1999.
6.رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، بغداد-2004.
7.سامي سعيد الاحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، بيروت-2013.
8.شاكر شاهين، العقل في المجتمع العراقي (بين الأسطورة والتاريخ)، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2010.

9.صموئيل نوح كريمر، من الواح سومر، تر: طه باقر، تقديم: احمد فخري، فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1965.
10.صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، تر: فيصل الوائلي، الكويت-1973.
11.طه باقر واخرون، تاريخ العراق القديم ، ج2، 1981.
12.طه باقر، ملحمة كلكامش، ط6، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002.
13.عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، ج2، جامعة الموصل، 1993.
14.عبدالرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الرشيد للنشر، بيروت، 1981.
15.عبداللطيف البدري، الطب في العراق القديم، بغداد-2000.
16.فاروق ناصر الراوي، العلوم والمعارف، حضارة العراق، ج2، بغداد-1985.
17.فاضل عبدالواحد، الطوفان في المراجع السماوية، مطبعة أوفسيت الإخلاص، بغداد، 1975.
18.مارتن ليفي، الكيمياء والتكنلوجيا الكيميائية في وادي الرافدين، ترجمة وتعليق وتقديم: محمود فياض المياحي واخرون، بغداد-1980.
19.مزهر الخفاجي، خصائص الشخصية العراقية والشخصية المصرية في التاريخ القديم، ط1، بغداد 2014.
20.نائل حنون، ملحمة كلكامش، ط1، دمشق-2006.
21.هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان، ط2، 1979.

ثانيا: الأبحاث الاكاديمية باللغة العربية:
22.رينيه لابات، الطب البابلي والاشوري، تر: وليد الجادر، مجلة سومر، مجلد 24، بغداد، 1968.
23.سامي سعيد الاحمد، الطب العراقي القديم، جامعة بغداد، مجلة سومر، مجلد30، 1974.

ثالثاً: الكتب الأجنبية:
.24George Contenau, Lamedicine en Assyrieet Babylonie,Paris-1938
.25 H.W.F sags, The Greatness that Babylon, New york-1963.
.26 Henry E.Sigerist, A History of Medicine Primitive and Archaic medicin, newyork-1967.
رابعاً: الأبحاث باللغة الإنجليزية:
.27 Morris Jastow Jr, Babylonian Assyrian Medicine, Annales of medical History,No.3, 1917